دراسات نقدية

لغة - أدب - نقد

Critical studies
Literature, criticism, language

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية الآداب واللغات

مجلة علمية وطنية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية الآداب واللغات

المجلد الثاني

العدد 01

مارس 2020

رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2017

الرقم الدولي الموحد للدوريات : 2602-5868 : ISSN

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د كمال بداري مدير جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مدير المجلة

د.عمار بن لقريشي عميد كلية ا لآداب واللغات

رئيس هيئة التحرير

د. احمد أمين بوضياف

هيئة التحرير

أ.د مجناح جمال **د.ناصر بركة**

د.بوشلالق عبد العزيز **د.زلافي ابراهيم**

د.بن ستيتي سعدية **أ.د مصطفى بشير قط**

التنسيق التقني

إسماعيل طرافي

للاتصال:

العنوان: كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، ص ب: 166 المسيلة 28000.

الهاتف والفاكس 035559630

البريد الالكتروني : dirassatnakdia@gmail.com

اللجنة العلمية والاستشارية

أ.د عباس بن يحى	أستاذ تعليم عالى	محمد بوضياف بالمسيلة
أ.د جمال مجناح	أستاذ تعليم عالى	محمد بوضياف بالمسيلة
أ.د. ملوك رابح	أستاذ تعليم عالى	جامعة البويرة
أ.د حشلافى لخضر	أستاذ تعليم عالى	جامعة زيان عاشور الجلة
أ.د عمار بن زايد	أستاذ تعليم عالى	جامعة الجزائر 02
أ.د أحمد بوزيان	أستاذ تعليم عالى	جامعة تيارت
أ.د عبد المالك ضيف	أستاذ تعليم عالى	محمد بوضياف بالمسيلة
أ.د عقاب بلخير	أستاذ تعليم عالى	محمد بوضياف بالمسيلة
د. متقدم الجابري	أستاذ محاضر " أ"	جامعة باتنة
د. بوشلالق عبد العزيز	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د. بركة ناصر	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د. مبروك دريدي	أستاذ محاضر " أ"	جامعة سطيف
د.سليم بتقة	أستاذ محاضر " أ"	جامعة بسكرة
د.دهيمى حكيم	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
بن ستيتى سعدية	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د.قاسى صبيرة	أستاذ محاضر " أ"	جامعة البويرة
د. لباشى عبد القادر	أستاذ محاضر " أ"	جامعة البويرة
روباش جميلة	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د.زلافى ابراهيم	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د. رحمون بوزيد	أستاذ محاضر " ب"	محمد بوضياف بالمسيلة
د العربى عبد القادر	أستاذ محاضر " ب"	محمد بوضياف بالمسيلة
د. بغورة محمد	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة
د.بن قرين عبد الله	أستاذ محاضر " ب"	محمد بوضياف بالمسيلة
د.يوسف العايب	أستاذ محاضر " أ"	جامعة الوادي
د.بن يطو عبد الرحمن	أستاذ محاضر " أ"	محمد بوضياف بالمسيلة

شروط النشر

1- لغة المجلة : اللغة الأساسية للمجلة هي اللغة العربية .

5- يرفق البحث بملخص مع كلمات مفتاحية باللغة الأصلية و مترجما إلى الانجليزية أو الفرنسية.

3- أن يكون البحث أصيلا غير مستل من بحث سابق أو منشور سابقا.

4- لا تلتزم المجلة بإعادة البحث لصاحبه سواء أنشر ام لم ينشر .

5- أبعاد الصفحة : A4 5– مسافة الهامش 2.5 على الجهات الأربعة.

6- الهوامش مرقمة من رقم واحد (01) إلى آخر هامش (101) في .

7- نوع الخط : Traditional Arabic الحجم 14 للمتن . و 12 للهامش . كل العبارات أو الأسماء الواردة باللاتينية في البحث تكتب بخط Times New Roman الحجم 10

8- ترد المراجع والهوامش في آخر صفحة من البحث .

9- صاحب البحث : إجبارية إرفاق سيرة ذاتية مختصرة لصاحب البحث يركز فيها على : الحالة المدنية الاسم واللقب - الجنسية - الرتبة العلمية – المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها . البريد الالكتروني . الهاتف الشخصي . وهاتف المؤسسة التي ينتمي إليها (القسم حصريا).

10-الآراء الواردة في البحث تعبر عن صاحبها. ولا تعكس رأي هيأة التحرير بأي حال من الأحوال .

11- تعرض البحوث الواردة على الخبرة العلمية.

فهرس المحتويات

الأسس النقدية لحصول الملكة اللغوية لدى المتعلمين	13-5
د.حمودي السعيد جامعة المسيلة	
تجلّيات الفاعليّة الثّوريّة على فنّ القصّ عند زهور ونّيسي (في مجموعتها القصصيّة الرّصيف النّائم)	23-14
د.عبد العزيز بوشلالق – د.عمر جادي جامعة المسيلة	
مقاربة في مصطلح الأدب الشعبي	39-15
د. أ د : علي بولنوار المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة	
الأبعاد الاجتماعية للأمثال الشعبية – مقاربة تأويلية–	48-40
د.بوزيد رحمون جامعة المسيلة	
التناص الديني في شعر أمل دنقل التناص مع القرآن الكريم	67-49
د. أحمد طعمة حلبي جامعة قطر	
تقنيات السرد الجديد في رواية الجيل الجديد ذاكرة معتقلة للونيس بلال أنموذجا	78-68
د.أحمد أمين بوضياف جامعة المسيلة	
التّوظيف الأيديولوجيّ في الرواية الجزائريّة رواية " ريح الجنوب " لابن هدوقة أنموذجا	86 -79
أ.د عبد الرحمان بن يطو جامعة المسيلة	
ثنائية النص/ العرض في الخطاب المسرحي	99-87
أ.د إسماعيل بن صفية جامعة عنابة	
السيميائية ومصطلحاتها عند الناقد بسام قطوس	110-100
عمر عليوي جامعة المسيلة	
نظرية المحاكاة من الحَكِيمَيْنِ إلى المُعَلِمِينَ المسلمين	119-111
د.زلافي إبراهيم جامعة المسيلة	
النزعة الأندلسية في نصوص نفح الطيب للمقري رسالة ابن حزم في فضل الأندلس انموذجا	127-120
أ.د مصطفى بشير قط جامعة المسيلة	
أثر الدرس البلاغي في رسم مقاصد التداولية	137-128
الطالبة: نوال برباش إشراف: د/ ناصر بركة الجامعة: محمد بوضياف –المسيلة	

أثر الدرس البلاغي في رسم مقاصد التداولية

The effect of rhetorical lesson in drawing deliberative intentions

الطالبة: نوال برباش دكتوراه سنة ثالثة

إشراف: د/ ناصر بركة أستاذ محاضر "أ"

الجامعة: محمد بوضياف –المسيلة

البريد الإلكتروني: naoual.berbache@univ-msila.dz

الملخص:

ما من شك في أن الدراسات البلاغية العربية القديمة تكتسي أهمية بالغة، لا تظهر إلا من خلال الوقوف على الأثر الذي أحدثته في الدراسات اللغوية والنقدية في الدرس الحديث _الغربي_ ذلك أن النظريات والمدارس النقدية في الدرس الحديث تلتقي مع هذه النظرية في كثير من المفاهيم والحدود، وهذا لا يؤدي بك إلى الاعتقاد بأنه تعصب للتراث، ولا نفيا للدرس الحديث واعتباره مجرد بديل مصطلحي للنحو والبلاغة القديمين، إذ يتنافى هذا وصفة الموضوعية في البحث العلمي، وإنما يبقى إشارة لملامح نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني وكيف أنه من خلال تحليله ومناقشته، حين أثبت ونفى، وقيد وأطلق، وعرف ونكر، وقدم وأخر، وفصل ووصل، وشبه وكنى، وصرح وذكر وأضمر، وأوجز وأطنب، قد أسهم وبشكل جلي في رسم معالم الدراسات النقدية الحداثية وبناء مقاصد النظرية التداولية.

الكلمات المفتاحية: الدرس البلاغي القديم، النظرية التداولية، نظرية النظم. التداولية.

Summary:

There is no doubt that the ancient Arab rhetorical studies are extremely important, and they only appear by examining the impact that they have had on linguistic and critical studies in the modern _ Western _ study, because theories and critical schools in the modern lesson meet with this theory in many concepts and limits, and this It does not lead you to believe that it is an intolerance of heritage, nor deny the modern lesson and consider it merely as a terminological alternative to ancient grammar and rhetoric, as this contradicts the recipe for objectivity in scientific research, but it remains a reference to the features of systems theory for Abdul-Qahir al-Jarjani and how that through his analysis and discussion, he has contributed in a way Clear F. Drawing critical studies modernist landmarks and building purposes of the theory of deliberative.

Key words: old rhetorical lesson, deliberative theory, systems theory. Deliberative.

توطئة:

إن البحث في مجال النظرية التداولية واسع ولا يُمكن حصره في هذه الدراسة، حيث إن هذه النظرية الحديثة قد انبثقت من خلال تحليلها ودراستها من منطلقات لغوية وأخرى فلسفية، علاوة عن ذلك استنادها إلى الضوابط الاجتماعية والنفسية، وهي الميزة التي أعلت من شأن المنحى التداولي في الدراسات النقدية الحديثة ، هذا الأمر الذي يُلزمنا في هذه المداخلة على ضرورة حصر موضوع الدراسة حول نقاط التقاطع بين الدرس البلاغي العربي القديم والمقاصد التداولية .

وسعيا منا في هذه المداخلة الموسومة ب:" **أثر الدرس البلاغي في رسم مقاصد التداولية** " أردنا أن نُبين مدى امتداد الدرس العربي القديم إلى العصور الحديثة، وكيف أنها شابهت في كثير من الحالات ما وصلت إليه الدراسات اللغوية والنقدية الغربية، وكيف أن العقل العربي لم يستثمر هذا الرصيد المعرفي اللغوي الكبير الذي تركه الدرس العربي القديم في جميع الميادين لاسيما منها النقد، في محاولة منا لذكر إسهام الدرس العربي في الدرس النقدي الحديث.

من هنا نجد أنفسنا أما الإشكال المطروح:

إلى أي مدى ساهم الدرس البلاغي القديم في رسم ملامح النظرية التداولية؟ ثم أين تتجلى تمظهراته؟

تعريف التداولية:

لغة: في "لسان العرب لابن منظور" نجد دول: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدُوَلةُ بالضم في المال، والدَولة بالفتح في الحرب، وفي حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دُوَلا جمع دُولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدولة اسم الشيء الذي يُتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال، كأنه كي لا يكون الفيء دولة أي متداولا[1].

وفي معجم "أساس البلاغة للزمخشري" نجد: دَول: دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي مثال: يُدال من البقاع كما يُدال من الرجال وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أحد واستدلت من فلان لأدال منه، واستدِل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دُول وعُقب ونُوب، وتداولوا السيء بينهم والماشي يداول بين قديميه: يراوح بينهما. ونقول دَواليك أي دَالت لك الدولة كرة بعد كرة. وفعلنا ذلك دواليك بعضها في أثر بعض[2].

بناء على ما تقدم من التعاريف اللغوية السابقة يتضح أنها لا تخرج عن الجذر "دول" والتي تحمل معاني التنقل من حال إلى حال والتبدل والتغيير. وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح "تداولية" أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى : الذرائعية، النفعية، السياقية.

اصطلاحا: من جملة التعاريف التي قُدمت لمفهوم "التداولية" وبعد تفحص العديد منها ارتأينا لاختيار هذه التعاريف:يقول "دلاش" إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث.

ونجد تعريفا عند "آن ماري دبير" و"فرانسو ريكاناتي" : التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية[3].

وإذا ذهبنا إلى الدرس العربي فنجد "مسعود صحراوي" وهو أحد المهتمين بالنظرية التداولية حيث يعرفها بأنها مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية[4].

وبناء على ما تقدم من تعاريف يمكننا القول بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار والملكة التبليغية، فهي دراسة تختص بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم على القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية من ثم جديرة بأن تُسمى علم الاستعمال اللغوي.

حول المرجعية الفكرية للتداولية:

تعدّ اللسانيات التداولية اسما جديدا لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد "سقراط" ثم تبعه "أرسطو" والرواقيون من بعده بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية فلسفية إلا على يد "باركلي" تغذيها طائفة من العلوم على رأسها : الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع. فالتداولية اللسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن حل لعديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات ولم تهتم بها نحو "الفونولوجيا، التركيب، الدلالة" ولذلك يعترف "كارناب" أن التداولية درس غزير وجديد بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله :" إنها قاعدة اللسانيات" كما أن اللسانيات التداولية تشكل محاولة جادة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث العلمي بعامة، وعجزت اللسانيات عن الإجابة عنها، متوسلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير الذي قلنا؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى المعرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟

ولم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللساني إلا في العقد السابع من القرن العشرين، بعد أن طورها فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أكسفورد جون أوستن و جون سيرل وبول غرايس وهم من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية، في مقابل مدرسة اللغة الشكلية (الصورية) وكانوا يهدفون إلى إيجاد طريقة لتوصيل معنى اللغة الإنسانية من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها فكان عملهم من صميم البحث التداولي.

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع "جون أوستن" وتطورت على يد "جون سيرل" وبعض فلاسفة اللغة ومن بعده لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية (أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشاريات).

والحق أن "جون أوستن" حينما ألقى محاضرات وليام جيمس عام 1955م لم يكن يهدف إلى وضع اختصاص جديد للسانيات أو فرع جديد لها، وإنما كان يرمي إلى وضع اختصاص فلسفي جديد هو "فلسفة اللغة" بيد أن تلك المحاضرات صارت فيما بعد بوتقة للسانيات التداولية. وانطلق أوستن من ملاحظة بسيطة مفادها أن كثيرا من الجمل التي لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب :" لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها" ،فالجملة "آمرك بالصمت" لا تصف واقعا بل تسعى لتغيير حالة الضجيج إلى الصمت. وبناء على هذه الملاحظات قسم "أوستن" الجمل إلى : جمل وصفية يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب وجمل إنشائية لا ينطبق عليها ذلك الحكم وتقابل في الثقافة اللغوية العربية الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، مثلما نجدها عند علماء النحو والبلاغة وكذا علماء التفسير وأصول الفقه في أبحاثهم[5].

وظائف التداولية:

ساد نقاش في البداية على جدوى التداولية وذكر "محمد سامي أنور" أن هناك تناقضا بين النظرية اللغوية الحديثة والتداولية يقول: النظرية اللغوية الحديثة مبنية على أساس أن اللغة نشاط ذهني فهي تتبنى الاتجاه العقلي، في حين أن النظرية البرغماتية تعتمد على ردود الفعل الشرطية التي قامت عليها المدرسة السلوكية، وكلتا المدرستين على طرفي نقيض، لذا فإن دمج متغيرات مدارس مختلفة في إطار بحث علمي واحد لن يتفادى التناقض الحتمي بين المبادئ التي بنيت عليها النظرية العقلية وأساليب التحليل السلوكي للغة"

وفي السياق نفسه يقول: " عندما يتسع مجال البحث ليشمل مبدأ التوفيق الاجتماعي لاستخدامات اللغة، فإن الاهتمام ينتقل من اللغة كظاهرة مستقلة بذاتها إلى ما تعنيه هذه الظاهرة في المتغيرات الاجتماعية، وهو نوع من التجريد ينتقل من الشيء في حد ذاته إلى الشيء بالمتغيرات الأخرى". وهناك من يقتنع بجدوى التداولية في الدرس اللغوي لأنها أوجدت انقلابا معرفيا على التقاليد البنيوية التي تقصي كل ما هو خارج البنية اللغوية من الدراسة، حيث أن الاهتمام في الدراسة اللغوية أصبح بعد مجيء التداولية متوجها إلى النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، ويلحظ ذلك عند الفيلسوف "سيرل" حين عدل بعض مواقف الاتجاه البنوي بجعله العمل اللغوي هو موضوع الدراسة اللغوية وليس الجملة كما كان يلح على ذلك البنيويون، فقد أدخل "سيرل" النظرية اللغوية في نظرية العمل، فالتداولية حقل معرفي جديد استطاع أن يتخطى حدود الدرس اللغوي التقليدي الذي تؤطره الكلمة والجملة، وتجاوز إلى آفاق رحبة في الخطاب. ومن هذا المنطلق نستطيع ذكر بعض الوظائف التي بإمكان التداولية أن تقف عندها:

– تعيين المجال التجريبي القائم على القواعد المتواطأ عليها في اللغة، والبرهنة على نجاح العبارة بوصفها فعلا إنجازيا ومبادئ فعل مشترك لانجاز التواصل مع بنية الخطاب، وكذلك استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل، المتلقي، والوضعية التبليغية، لأن أي تحليل تداولي بالضرورة يستلزم التديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة، وبالتالي الوقوف عند معاني النصوص والجمل والتأويلات التي يحتملها المعنى بشكل واسع.

– أصبحت الدراسة اللغوية بعد مجيء التداولية تهتم بقضايا كانت مقصاة عند البنيويين والتوليديين كدراسة أحوال التخاطب التي ينجز ضمنها الخطاب.

–تدرس التداولية وجوه الاستدلال للتواصل اللغوي، إذ أن لبعض الأقوال حاصية استلزام أقوال أخرى إلا أن المتكلم يبلغ بأقواله أكثر مما تدل عليه الدلالات الحرفية لتلك الأقوال.

–تدرس التداولية بعض القضايا التي لها علاقة وتداخل مع علم النفس من خلال اهتماماتها بجزئيات تداولية تنطلق من مبادئ مستمدة من علم النفس الإدراكي، وأشهر النظريات التداولية في ذلك هي نظرية المناسبة أو الملاءمة[6].

التداولية وعلاقتها بالدرس البلاغي العربي القديم:

يظهر البحث في مجال الاتصال والتواصل قديم قدم البشرية وذلك راجع إلى ارتباطه بالحياة الاجتماعية للإنسان من أجل التفاهم، وقد عدت اللغة وسيلة تحقيق هذا التواصل والإبلاغ، وإلا أن تجسيد هذه اللغة كان مدعاة للتساؤل عن القدرة على ذلك، من حيث ارتباطها بأمور خارجة عن نطاق المنظومة اللسانية المتواضع عليها، وذلك أن الإنسان تسيره ظروف تواجده في بيئته وعلاقاته داخل المجتمع، وهو ما يعرف بالمقام أو السياق، لذلك استدعت الحاجة إلى تسخير هذه اللغة تماشيا مع متطلبات المقام، من أجل تحقيق الإبلاغ والاتصال. وتعد البلاغة من العلوم العربية التي نالت رواجا في أوساط الباحثين والدارسين، فقد كانت دعامة أساسية للدرس العربي، مثلت عالما للاتصال نظرا لارتباطها باستعمال اللغة، وتعد البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداولية في اللغة لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته اللفظية والتركيبية والدلالية والعلاقات القائمة بينها، وقد نتجت من استقصاء العلماء وتتبعهم للهيئات اللسانية في اللغة العربية وما كان عند العرب من العادات الكلامية المعروضة عرضا بليغا وفصيحا للوصول إلى أرقى المعاني وأبلغها وأجملها، ولهذا كانت البلاغة مؤسسة على ثوابت الثقافة الإسلامية والإرث العربي.[7]

ويحتل المقام دورا بارزا وله مكانة متميزة في كتب البلاغة والنقد الأدبي القديم، فالعرب قديما لم يُخصصوا بحوثا حول المقام وإنما جاء الحديث عنه في سياق البلاغة والبيان والفصاحة والخطابة وغيرها من القضايا التي لها علاقة مباشرة بالمقام، كما نجد أيضا الدراسات التداولية الحديثة هي الأخرى تتناوله كثيرا في بحوثها تحت ما يُعرف "**بالسياق**" أو مقتضى الحال أو "**المناسبة**".

وإن ما نفهمه من مبدأ "**لكل مقام مقال**" هو الفصل بين المقام والمقال بطريقة جذرية وهذا أمر غير ملائم لأنه يصعب أن نقول إن هناك في جهة ما عالما للأشياء والأنشطة وفي جهة أخرى توجد اللغات والمقامات، وإنما الجوانب المحيطة بالمقال تؤثر في فهمه واستيعابه، وهنا نقف عند السياق، وهنا نجد إشارة السكاكي حين يقول :«لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام

التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتدء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الانكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الانكار... ولكل مقتضى غير مقتضى آخر»[8]

وهذا يعني أن المقام كان له حظ كبير عند العرب القدماء مثلما كان لعلوم البلاغة الأخرى كالبيان والبديع والمعاني، فالمقام له تخصص له أبواب وفصول في كتبهم، وقد جاء على لسان باحث في مصطلح السياق حيث أشار أن " **السياق**" كان له حضور قوي في النص العربي القديم تحت ما يسمى بالمقام، كما أورد الباحث نفسه مصطلح الحال والمقام المرتبطين بالمقال الذي هو النص أو العبارة أو الخطاب، فيقول:« في الأصل يتردد هذا المصطلحان في النصوص البلاغية ثم انتقلا إلى حقلي النحو والنقد وقد يكون مفيدا الوقوف على دلالتهما في المقام الذي وردا فيه وترتيب النصوص التي تضمنتها بحسب تسلسلها الزمني، قبل أن يتحدا مصطلحا محدد الدلالة»[9]

عند العودة إلى بعض ما كتبه الباحثون نجد بأنهم وضعوا مبحثا بعنوان مناسبة التركيب للمقال، حيث قالوا فيه: زنقصد بمناسبة التركيب للمقام المطابقة التامة بين شكل التركيب الذي يكون عليه وعناصر المقام المختلفة والمقصد وموقف الخطاب ومن دلائل هذا النوع من التناسب بين التركيب والمقام توظيف اللفظة المناسبة من حيث الدلالة والتعبير والمقام. فيتضح لنا من خلال هذا القول أنه لا اختلاف بين التركيب والمقام، فتركيب الألفاظ يبقى كما هو أما المقام فهو مختلف فاختلاف عناصره بالرغم من ذلك فهما متطابقان.

إن المتأمل في البنية المفاهيمية للبلاغة الجديدة يلاحظ أنها لم تخرج عن نطاق تعريف القدماء والذي وسع دائرته المحدثون بإيجاد مرتكزات تستند فيها على معطيات البلاغة القديمة، هذه المرتكزات تتجلى في المتكلم ، المخاطب، الخطاب، الموقف الخرجي، وبهذا يمكن اعتبار البلاغة منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير ولقد وضع المحدثون للبلاغة تعريفات متعددة تلتقي في إيجاد خط متواصل بين هذه العناصر ليكون الكلام مطابقا لمقتضيات المقام، وتتحقق فيه السمة البلاغية الإبلاغية، وهو الرأي الذي أشار إليه **محمد العمري** حين رأى بأن البلاغة العربية قد أعيد لها الاعتبار في الدراسات المعاصرة فيما يعرف بالتداولية، وعلى أساس هذه الآراء يعقد " **صلاح فضل**" رؤية جامعة بين الآراء ليصل إلى رأي مفاده أن البلاغة والتداولية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي، على أساس أن النص اللغوي في جملته إنما هو نص في موقف.

وبناء عليه نستنتج أن البلاغة تمتاز بالإفادة وقوة التأثير وذلك بمقصدية إيصال المعنى إلى المخاطب، فتعمل على جذب فكر المخاطب إلى المخاطِب لتتواصل عملية التبادل الفكري، فعلاقة الترابط بين البلاغة القديمة والجديدة تكمن في مراعاتها لسياق التخاطب ويتضمن كل ما يتعلق بأوضاع المتخاطبين، وهو ما جعل صلاح فضل يقف عند نقاط تلاقي البلاغة بالتداولية في منعرج الاستعمال والذي يرتبط بالمقام، فهو استعمال اللغة بحسب السياق لحدوث التواصل، وهو ما يجعل الاستعمال مرتبطا بالقول وكيفية إيصاله للطرف المستقبل، حتى أمكن نعت البلاغة بفن القول.

لقد نشأ التفكير التداولي من الاهتمام بالتواصل والاستعمال الفعلي للغة، فقد ارتبطت التداولية بحقل الفلسفة التحليلية، ثم انفصلت عنها لتكون ذات توجه لساني يعني بدراسة اللغة لحظة الاستعمال، وإن التقاء التداولية مع منظومة من العلوم جعل الجانب المفاهيمي لها يمتاز بالثراء والتشعب من باحث لآخر، إذ ظهرت تعريفات مختلفة لها، ونجد في هذا الصدد "دومينيك مانقونو" يتحدث عن هذه الوفرة المفاهيمية بقوله أنها نابعة من كون التداولية ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها، إضافة إلى تداخلها مع علوم أخرى مما جعل مجالها ثريا واسعا وغالبا ما يكون عسيرا يجعل الباحث يتيه في فروعها المعرفية، وذلك بالنظر إلى طبيعة المنشأ الذي قامت عليه فهو منشأ فلسفي بالدرجة الأولى[10].

الأمر الذي وجب أن نشير إليه أن الوقوف عند الدرس البلاغي العربي في مستوياته الثلاثة " **علم المعاني، علم البيان، علم البديع**" هو محور اهتمام وتركيز الدارسين في التداولية، وهذا راجع للأهمية التي يخضع لها البحث والمفهوم الكلامي من خلال علوم اللغة الثلاثة. ونشير بنظرة إليها فنقول:

1 الأسس التداولية في علم المعاني:

إن كان علم المعاني ذلك المجال الذي يلقي مقارباته حول الظروف والأحوال والمقامات التي تعتبر بمثابة الضابط والمؤطر والكنف الجوهري لعملية صناعة الكلام، فهو بهذا المنحى إنما يخطو خطوات حقيقية نحو التداولية التي تعنى بمثل هذه المقاربات وبذا فإن الآليات والمباحث المندمجة لواءه تتقاطع تقاطعا معرفيا في بعض تمظهراته مع بعض الميكانزمات المعتمدة بالتنظيرات التداولية المعاصرة، ومن أجل إثبات هذه الرؤية لا ضير في نأخذ نماذج تشتمل على علم المعاني ومباحثه:

بين ظاهرة الحذف ونظرية الافتراض السابق: يعد مبحث الحذف من المباحث التي استأثرت باهتمام نفر غير قليل من البلاغيين العرب، فها هو "عبد القاهر الجرجاني" يفرد له بابا خاصا به استهله بقوله "هو باب دقيق من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".

ولعل الدافع الأكبر الذي حدى البلاغيين العرب نحو مقاربة ظاهرة الحذف راجع إلى ما تحمله هذه الظاهرة من جمال فني وإبداعي من جهة، وما تحمله من دلالات وأغراض من جهة أخرى.

الأسس التداولية في علم البيان:

لقد ركز البلاغيون العرب منذ القدم على التعابير المجازية وما يحمله اللفظ من معاني ظاهرة وأخرى خفية وذلك بالتركيز على معنى العبارة والجملة من خلال دراسة جملة من الأبعاد والمفاهيم منها: المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه.

الأسس التداولية من خلال علم البديع:

من البديهي القول أن المحسنات البديعية من الآليات التي تأسس عليها الخطاب البلاغي الذي كان يصبو إليه البليغ العربي من خلال استمارة لهذه الآليات إلى بعث البعد التحسيني الجمالي لكلامه، سواء أكانت محسنات بديعية لفظية أو محسنات بديعية معنوية[11].

إلى جانبه نجد " **سيرل**" وهو أبرز المهتمين بالدرس التداولي قد أعطى أهمية ودور كبير لدراسة التعابير المجازية من خلال الوقوف على الاستعارة ، وهنا نشير إلى دراسته التي خص بها (**معنى الجملة الحرفي**) والمعنى التداولي السياقي، الأمر الذي عُد من بين أهم القضايا المثارة في دراسة الاستعارة وفق رؤية تداولية، ومن هنا جاءت معالجته من خلال عرضه للتمييز بين المعنى النحوي والمعنى التداولي[12].

إن الرؤية التداولية في وصف الفعل الكلامي التي تتجاوز التصور المنطقي للقضية التي تحصر قضية الإسناد في مجرد تضمن المسند في المسند إليه نجدها عند عبد القاهر الجرجاني إذ يقول :" اعلم أن معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل الأول هو الخبر، وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع فمن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به.. ولما كان كذلك وجب أن لا يعقل إلا من مجموع جملة: فعل واسم " فليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل ، النقطة التي يشير إليها " **سيرل**" فالإسناد يظهر لنا الرابطة المعنوية والدلالية التي ينجزها المعنى في القول، وذلك بتوارد العلاقات بين الألفاظ بحسب السياق، وهو ما سماه "**الجرجاني**" بالتعليق الذي يدور حوله النظم، فالإسناد يظهر في القول في صيغة الإنجاز، وذلك بالربط بين أجزاء الكلام لحصول معنى المتكلم.

لهذا فإن الإسناد يحمل ضروب القول من خبر ونهي وأمر... لتصبح فيما بعد ركيزة لإنجاز أفعال كلامية ترتبط بالسياق التخاطبي، وهناك إشارة مهمة في كلا "الجرجاني" تبدو في رؤيته بأن وظيفة اللغة هي التواصل ونقل ما يقصده المتكلم إلى السامع ويظهر من خلال هذا الكلام أن المعنى المستفاد من الخطاب يتحدد أثناء العملية التواصلية، ويخضع إلى عامل خارج اللغة وهو قصد المتكلم، والقصدية شكلت الأساس الذي انبنت عليه نظرية فعل الكلام، وتتجلى انطلاقا من الربط بين العبارات اللغوية وغرض المتكلم ومقصده، إذ يجب أن ينظر إلى الإنجاز بوصفه جانبا قصديا لفعل كلامي في سياق الموقف الكلي التداولي التواصلي، فكل فعل كلامي يقوم على قصد معين وله تأثير ودور في ضبط القوة الإنجازية المرادة، إذن فالجرجاني يبرز من خلال هذه الأفكار المتقدمة الأبعاد التداولية في النحو والبلاغة حين سلك في تحليله للقول مسلكا إبداعيا وأعطى للمقولات البلاغية أبعادا تداولية ومعان جديدة ووظائف تأثيرية، وبذلك يلتقي الجرجاني مع سيرل الذي بنى نظريته على دراسة الملفوظ من منطلق الإنجاز والقصد[13].

ولقد اهتم الدارسون بالسياق فهو يقوم بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عباراتهم الموجزة الدالة "لكل مقام مقال" فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، إذ يضطلع السياق بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي مثل تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات كما أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق التي ترد فيه وربما اتخذ المدلول واختلف المعنى طبقا للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقا لأحوال المتكلمين والزمان والمكان الذي قيلت فيه [14]. ولقد ركز الجرجاني اهتمامه بدلالة النظم "**السياق**" وعنايته بالسياق التلفظي

"**النظم**" وأهميته في تحديد قيمة الكلمة وبيان تفاوت البلغاء في إنشائهم حسب قدراتهم وتوفيقهم في إحكام النظم، واستعمال وسائله في الدلالة على المعاني لأن اللفظ يكتسب معناه من التركيب. المرجع نفسه[15].

هكذا فإن السياق أو المقام أو سياق الحال يعد من أهم المعطيات التي لا يمكن التغافل عنها سواء في بناء الإنتاج اللغوي أو تأويله وبالتالي باتت الحاجة إلى ضرورة الاهتمام بهذا المستوى في عموم الدرس اللساني وأدنى نظرة في نظرية الفعل الكلامي تشير إلى أن السياق قد شكل الفكرة المحورية التي تبلورت منها هذه النظرية بمختلف تصوراتها، انطلاقا من بيان ماهية الفعل الكلامي تشير إلى أن السياق قد شكل الفكرة المحورية التي تبلورت منها هذه النظرية بمختلف تصوراتها انطلاقا من بيان ماهية الفعل الكلامي وطبيعته وكيفية إنتاجه وتصنيفه وصولا إلى كيفيات تلقيه وتأويله يقول " **أوستين**" :" إن مقولة فعل الكلام كجنس كلي منظور إليها من موقف أو مقام كلامي هي فقط الظاهرة الوحيدة التي نسعى جهدنا لتوضيحها في نهاية الأمر، وعلى هذا الأساس من المنظور التداولي لأفعال الكلام، قدم "أوستين" مقولاته حول الإنجاز وكان من أهم ما أشار إليه هو أن هناك مجموعة من الوسائل اللغوية التي يمكن للمرء أن يستخدمها للكشف عن أدائية إنجازية وهي:

- صيغة فعل الكلام كالصيغة المشهورة للأمر مثل "أغلق الباب"
- التشديد على الصوت وإيقاعه وتنغيمه بإمالته وغير ذلك من فنون القراءة ويقصد في ذلك طرق الأداء الشفوي من التنغيم والنبر، وموسيقى الكلام حيث يختلف معنى الجملة أو المنطوق باختلاف نغماته.
- الظروف النحوية وما ترتبط به من تراكيب .

- أدوات الربط بين أجزاء المنطوق عبر وسائل الربط المختلفة من نحو:" إذن، بينما، بالرغم من".

ما يصاحب التلفظ بالكلام ومستتبعاته، كالحركات والإشارات.

- ملابسات وأحوال التلفظ بالعبارة: إذ أن النطق بالعبارة هو أهم معين لنا على معرفة الغرض منها.

فيظهر بوضوح اهتمام الباحثين المحدثين بالسياق وهذا الاهتمام الذي تقاطع فيه " **أوستين**" مع أفكار " **عبد القاهر الجرجاني**"، من خلال بيان أهمية السياق ومقتضى الحال في فهم الكلام والعبارات التي يود المتكلم أن يوصلها للسامع[16].

هوامش الدراسة:

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج5، ط1، دار صادر، بيروت، 1863، ص327.

[2] – الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، ط1، منشورات دار الكتب العلمية، لبنان، 1998،ص303.

[3] – ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علواش، مركز الانتماء الوطني، لبنان، ص7.

[4] – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطبيعة، لبنان، 2005، ص5.

[5] – باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، العدد:7، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر ،بسكرة،2011، ص 159.

[6] – عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي، جامعة باتنة1، باتنة، 2017، ص45.

[7] – ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012، ص7.

[8] – أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد الهنداوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص256.

[9] – نادية جرمان، الدرس البلاغي القديم والمقاربة التداولية محمد العمري أنموذجا، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، ص30.

[10] – ثقبايث حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012، ص 30،31.

[11] – واضح محمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، جامعة وهران، 2012، ص 230.

[12] – سعيدة مداس، المجاز في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني دراسة تداولية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ،2016، ص 52.

[13] – عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي، جامعة باتنة1،2017، ص128.

[14] – عبد الرحمن بشلاغم، تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014، ص.60

[15] – عماري محمد، مبادئ الدرس التداولي في التراث العربي، جامعة باتنة1، باتنة،2017 ،ص 202.

[16] – المرجع نفسه، ص 170.

Critical studies
Literature, criticism, language

مجلة علمية وطنية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية الآداب واللغات

المجلد الثاني

العدد 01

مارس 2020

رقم الإيداع القانوني: ديسمبر 2017

الرقم الدولي الموحد للدوريات : ISSN : 2602-5868